

الفكر التربوي عند الأديب المقدسي خليل السكاكيني

الدكتورة بنان محمد صلاح الدين
كلية الآداب – جامعة القدس - فلسطين

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الفكر التربوي للأديب المقدسي خليل السكاكيني الذي يعد علم من أعلام النهضة العربية الحديثة ومن أبرز المفكرين الفلسطينيين ممن أسهموا في المجال التعليمي والثقافي والوطني في فلسطين خلال النصف الأول من القرن العشرين، وذلك من خلال تتبع آراءه الفكرية والتعليمية والسياسية والفلسفية والاجتماعية . واشتملت الدراسة على عدد من المحاور، تناول المحور الأول سيرة السكاكيني وحياته، بينما تناول المحور الثاني السكاكيني ومبادئه التعليمية والتربوية والوسائل التي اتبعها في تحقيق أهدافه التربوية ، واشتمل المحور الثالث على موقفه من الامتحانات والواجبات البيتية ، وفي المحور الرابع تحدثت الدراسة عن منهج السكاكيني المعروف باسم " الجديد في القراءة العربية " . واعتمدت الدراسة بشكل أساس على يوميات السكاكيني وكتابه الموسوم ب " الجديد في القراءة العربية " بأجزائه الأربعة . وقد اتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهجين الوصفي والتحليلي وذلك من خلال جمع الحقائق والمعلومات وتحليلها وتفسيرها . وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج ، أهمها أنه السكاكيني تبنى فلسفة تربوية كان لها الأثر المهم في تبديل الكثير من المفاهيم والآراء والأساليب التربوية إلى حد كبير ربما لم يجاره سواه من الذين عملوا في حقله ، فكان بذلك مبتكراً وصاحب اجتهاد واسع في العملية التربوية وطرائق التدريس من خلال تركيزه على تفعيل دور التلاميذ في العملية التربوية ،مقرناً ذلك بدور المعلم الذي ينبغي أن يكون فاعلاً وفق التوجهات التربوية الحديثة .

Abstract

The educational thought of the Jerusalem writer Khalil Sakakini

This study aims to shed light on the educational thought of the Jerusalem writer Khalil Sakakini ,who is one of the most prominent Palestinian intellectuals who contributed to the educational, cultural and national field in Palestine during the first half of the twentieth century through his intellectual, educational, political, philosophical and social views.

The study included a number of axes ,the first axis dealt with the biography of Sakakini and his life, while the second axis dealt with Sakakini and his principles of education and pedagogical methods and followed in achieving its educational objectives, and the third axis included his attitude towards exams and homework .and in the fourth axis the study talked about Sakakini curriculum " New in Arabic reading".

إن التربية لا تقتصر على جانب دون آخر من جوانب شخصية الفرد، بل تتناول مختلف جوانبها من عقلية ونفسية وجسمية وخلقية، كما أنها لا تقتصر أيضاً على تنمية الفرد بمفرده وبشكل منعزل عن مجتمعه، وإنما تتناول المجتمع ككل وذلك باعتبار أن كل من الفرد والمجتمع أمران متلازمان لا يمكن الفصل بينهما، فالفرد جزء لا يتجزأ من المجتمع، ويشكل اللبنة الأساسية لتكوين المجتمع، كما أن المجتمع بناء بشري لا يستقيم ولا يصلح إلا بإصلاح أفراده.

ومن هنا نستطيع القول أن التربية تعد علماً بالنظر لكونها حقائق منظمة قائمة على التجارب المتعددة ليغدو الفرد عضواً صالحاً في المجتمع، فالعملية التربوية ترمي إلى الأفضل دوماً وذلك من خلال

تغيير الفرد حتى ينمو ويتغير ويتطور في سلوكه وتصرفاته ليستطيع بعد ذلك الإسهام في تغيير مجتمعه وتطويره وتقدمه وازدهاره⁽¹⁾.

أما الفكر التربوي فيعبر عما أبدعته عقول الفلاسفة والمربين فيما يتعلق بالتعلم الإنساني وتنمية الشخصية وشحن قدراتها، ويتضمن مختلف النظريات والمفاهيم التي وجهت عملية تربية الإنسان، كما يتأثر بمجموعة من العوامل والقوى التي أنتجت وأحاطت به، بالإضافة إلى شخصية المفكر من حيث تكوينه العقلي والنفسي، وموقفه من الطبيعة الإنسانية ومن القيم ومن الدور الذي يمكن أن تقوم به التربية حيال التقدم الفردي والاجتماعي⁽²⁾.

ويعد الأمريكي جون ديوي (1859-1952) من أبرز أعلام الفكر التربوي في الغرب، وأحد القمم التربوية والفلسفية في القرن العشرين، فقد ارتبط اسمه بالكثير من المذاهب والنظريات والمفاهيم التربوية، وكان قد أكد على أهمية المدرسة وضرورة كونها مؤسسة اجتماعية وصورة لحياة المجتمع ووسيلة لتغييره، ويتم التدريب فيها عن طريق الخبرة المباشرة على التفكير المتطور، وشعور الفرد بمسؤوليته، وأن تكون وسيلة لتجديد التراث وليس مجرد نقله من جيل إلى جيل⁽³⁾.

وبالرغم من أن الأديب المقدسي خليل السكاكيني لم يتبنَّ أية نظرية أو مذهباً في الفكر التربوي إلا أنه كان لديه الكثير من المفاهيم والآراء التربوية تتشابه إلى حد كبير مع فلسفة ديوي التربوية، بل ربما تفوق عليه في كثير من الآراء والأفكار التربوية. لقد وجد السكاكيني في مجال التربية والتعليم مجالاً رحباً وواسعاً للثورة على أساليب التعليم الجامدة والخمول والترهل في المفاهيم والأفكار السائدة المعيقة لتقدم المجتمع وتطوره، فأخذ يسعى عبر أفكاره وأساليبه وآرائه نحو تحقيق إصلاح شامل للمجتمع في كل المجالات وبخاصة العلمية والتربوية ليلحق بالركب الحضاري، وكان يرى أن المدرسة هي الركيزة

(1) ابراهيم عبد العزيز الدجيلج - التربية، القاهرة: دار القاهرة، 2007، ص 31 .

(2) مصطفى زيادة وآخرون، الفكر التربوي: مدارسه واتجاهات تطوره، مكتبة الرشد، 2006، ص 21-22 .

(3) المرجع نفسه، ص 241.

الأساسية في عملية الخلق الجديد والتحول المنشود⁽⁴⁾. وارتأى أن عملية التغيير في المفاهيم والقيم لا تتحقق إلا بفعل المدرسة ولا تتم عملية التحول نحو الأفضل إلا من خلالها⁽⁵⁾.

ودعا السكاكيني إلى تفعيل دور الطالب في العملية التربوية من خلال المشاركة والنقاش والتحليل والتفكير والاعتماد على النفس، فدعا إلى تعويد "الطلاب حرية الفكر فلا يقبلوا رأياً على عهدة أحد إلا إذا كان مشفوعاً ببرهانه، وليكن شعارهم دائماً لماذا؟"⁽⁶⁾. وارتكزت فلسفته التربوية على "احترام الفرد ومنحه الحرية حتى يئمي قواه فينشأ مواطناً صالحاً محترماً لنفسه ولسواه ومستقلاً في التفكير والعمل"⁽⁷⁾.

وإذا كان ديوي قد ربط بين التربية وعدد من العلوم الأخرى وخاصة علم الأحياء وعلم الاجتماع وعلم النفس، غير أن السكاكيني فاقه في هذا الأمر، فقد اشتملت معارفه ميادين ومجالات واسعة ومتعددة من الفنون والموسيقى والرياضة والأدب والتاريخ والفلسفة والأحياء والاجتماع والتربية والسياسة، وأخيراً علم النفس الذي اعتبره من أهم العلوم ووصفه بأنه علم العصر معبراً عن ذلك بقوله: "إن الإنسان لا يستطيع أن يفهم الحياة إلا إذا درس علم النفس بكل فروعه، وفي هذا العلم غرائب وعجائب لم تخطر لي في بال"⁽⁸⁾.

سيرة السكاكيني وحياته

ولد خليل قسطندي حنا اسحق السكاكيني بمدينة القدس في العاشر من كانون الثاني عام 1878، وقد سماه والده بخليل على اسم أخيه البكر الذي توفي طفلاً⁽⁹⁾. درس في بداية حياته المدرسية في مدرسة الروم الأرثوذكس، ثم نقله والده إلى مدرسة أسستها جمعية إنجليزية، وبعد ذلك التحق بمدرسة صهيون

(4) يوسف أيوب حداد، خليل السكاكيني: حياته - مواقفه - وأثاره، الناصرة، 1985، ص202.

(5) المرجع نفسه، ص212.

(6) خليل السكاكيني، الأصول في تعليم اللغة العربية، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1952، ص104.

(7) عبد الحميد ياسين وآخرون (محرر)، ذكرى السكاكيني، عمان، 1957، ص44.

(8) خليل السكاكيني، يوميات خليل السكاكيني: بين الأب والابن: رسائل خليل السكاكيني إلى ولده سري في أمريكا 1933-1934، تحرير أكرم مسلم، رام الله، مؤسسة الدراسات المقدسية ومركز خليل السكاكيني الثقافي، 2006، الكتاب الخامس، ص20.

(9) خليل السكاكيني، يوميات خليل السكاكيني: أخبار الانتداب وأسئلة الهوية 1919-1922، تحرير أكرم مسلم، رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، 2004، الكتاب الثالث، ص50. خليل السكاكيني، يوميات خليل السكاكيني: سلطنة 1939-1941، تحرير أكرم مسلم، رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، 2009، الكتاب السابع، ص26. عيسى الناعوري، خليل السكاكيني أدبياً ومربيًا، عمان: منشورات دار الكرمل، 1985، ص21.

الإنجليزية ثم التحق فيما بعد بكلية الشباب (الكلية الإنجليزية فيما بعد)، وكان أستاذه فيها نخله زريق الذي تأثر به وأفاد من علمه وتمكنه بالعربية، فجعله مثلاً له⁽¹⁰⁾.

وفي أواخر عام 1907 سافر السكاكيني إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعمل فيها، غير أنه لم يوفق بسبب الأزمة الاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد آنذاك، فعاد في أيلول عام 1908 إلى مدينة القدس حيث أسس مدرسة وطنية سماها بالمدرسة الدستورية⁽¹¹⁾. وفي 13 كانون الثاني عام 1912 تزوج من سلطنة ورزق منها ولدٌ أسماه سري وابنتان إحداهما هالة والثانية دمية⁽¹²⁾.

وقبل اندلاع الحرب العالمية الأولى بفترة وجيزة عين السكاكيني عضواً في مجلس قوميون المعارف لمدة أربع سنوات، وكانت وظيفة هذا المجلس تتعلق بالمدارس الابتدائية في لواء القدس، وتتناول تعيين المعلمين وعزلهم ونقلهم من محل إلى آخر، وتحويلهم من درجة إلى أخرى، والنظر في شكاية من معلم على آخر، ومراقبة التعليم⁽¹³⁾.

لاعتقال من قبل السلطات العثمانية بتهمة إيواء اليهودي 1917 تعرض السكاكيني في كانون الأول

(. وقد بقي في¹⁴ الأمريكي والتر ليفين في بيته، فأقنيد إلى سجن الجامع المعلق بباب الجابية في دمشق)

حيث أطلق سراحه بعد أن أصدر الديوان العرفي أمراً ببراءته، إذ لم 1918 كانون الثاني 10 السجن حتى

(¹⁵ يجد في مسألته ما يوجب سجنه)

(10) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الثالث، ص50. يوسف أيوب حداد، خليل السكاكيني: حياته- مواقفه وآثاره، الناصرة، دن، 1985، ص41-42.

(11) حداد، السكاكيني، ص48-50. وحول حياته في الولايات المتحدة ،انظر: خليل السكاكيني ، يوميات خليل السكاكيني: نيويورك – سلطنة – القدس 1907-1912، تحرير أكرم مسلم، رام الله: دن، 2003، الكتاب الأول، ص141-91. سليم تماري، السكاكيني في نيويورك: الفترة التكوينية في حياة أديب مقدسي 1907، 1908، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 56، خريف 2003، ص96.

(12) خليل السكاكيني ، يوميات خليل السكاكيني، رسائل خليل إلى سري في أمريكا 1931-1932، تحرير أكرم مسلم، رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، 2005، الكتاب الرابع، ص133.

(13) خليل السكاكيني ، يوميات السكاكيني: النهضة الأرثوذكسية – الحرب العظمى – النفي إلى دمشق 1914-1918، تحرير أكرم مسلم، رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، 2004، الكتاب الثاني، ص85 .

(14) السكاكيني ، يوميات السكاكيني: الكتاب الثاني، ص194. حداد، خليل السكاكيني، ص51.

(15) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الثاني، ص226.

بعد ذلك اتجه إلى جبل العرب والتحق بالثورة العربية الكبرى، ووضع نشيداً وطنياً ولحنه ليصبح فيما بعد نشيداً للثورة، ثم اتجه إلى مقر الأمير فيصل بن الحسين، ومن هناك توجه إلى مصر ومكث فيها شهرين ليعود بعد ذلك إلى فلسطين⁽¹⁶⁾.

وخلال فترة الإدارة العسكرية البريطانية في فلسطين، عين السكاكيني عضواً في هيئة المعارف ومديراً لدار المعلمين في القدس، غير أنه استقال من هذا المنصب عام 1920، احتجاجاً على تعيين هربرت صموئيل مندوباً سامياً على فلسطين⁽¹⁷⁾.

غادر السكاكيني القدس في آب 1920 متجهاً إلى مصر حيث دعت الجمعية السورية الأرثوذكسية في القاهرة لتولي رئاسة القسم العربي في المدرسة العبيدية، وبقي في هذا المنصب حتى أوائل صيف عام 1922 حيث قدم استقالته وعاد إلى القدس⁽¹⁸⁾.

أخذ السكاكيني بعد عودته إلى القدس يعمل في الصحافة ونشر المقالات في عدد من الجرائد الأدبية كالمقتطف والهلال والسياسة الأسبوعية، كما استأنف نشاطه في الحركة الوطنية الفلسطينية، وكان خلال هذه الفترة يتردد على مقهى في باب الخليل أطلق عليه السكاكيني من باب الدعابة والفكاهة اسم "مقهى الصعاليك"⁽¹⁹⁾.

تولى السكاكيني في شهر كانون الثاني 1936 إدارة القسم العربي في محطة الإذاعة، غير أنه لم يستمر طويلاً في هذه الوظيفة حيث قدم استقالته احتجاجاً على تسمية فلسطين من قبل المذيع الإسرائيلي في النشرة العبرية اسم "أرض إسرائيل"⁽²⁰⁾.

(16) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الثالث، ص80. حداد، خليل السكاكيني، ص54.

(17) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الثالث، ص98-99، ص202، ص225-223.

(18) المصدر نفسه، ص233، ص241.

(19) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الثاني، ص67. ذكرى السكاكيني، عمان: دن، 1958، ص32. سليم تماري، مقهى الصعاليك وإمارة البطالة المقدسية، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 57، 2004، ص125.

(20) خليل السكاكيني ، يوميات السكاكيني: رسائل خليل السكاكيني إلى سري في أمريكا 1935 – 1937، تحرير أكرم مسلم، رام الله: وزارة الثقافة الفلسطينية، 2006، الكتاب السادس، ص231-230.

وعلى أثر حرب عام 1948 اضطر السكاكيني لمغادرة منزله الكائن في حي القطمون في القدس الغربية، واتجه إلى مصر حيث عين عضواً في مجمع فؤاد الأول للغة العربية، وبقي مقيماً في القاهرة حتى وفاته في 13 آب 1953، ودفن في مقبرة كنيسة مارجرس الأرثوذكسية⁽²¹⁾.

السكاكيني وتأسيس المدرسة الدستورية (الوطنية)

كان السكاكيني وقت إعلان الدستور يقيم في نيويورك، ويذكر في يومية السبت الموافق 25 تموز 1908 أنه عرف من خلال الجرائد العربية التي تصدر في نيويورك أن السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909) منح البلاد الدستور بعد أن علق نحو 31 عاماً، وعلى أثر ذلك قرر السكاكيني العودة إلى مدينة القدس وترك بلاد المهجر لإنشاء المدرسة التي لطالما كان يحلم بإنشائها فمما قاله "سررت له كثيراً واستبشرت به خيراً. الآن إذا رجعت إلى بلادي يكون رجوعي في محله، الآن أستطيع أن أخدم بلادي، الآن أستطيع أن أنشئ مدرسة وجريدة وجمعيات للشبان"⁽²²⁾.

وعلى أثر إعلان الدستور وعودة الحياة الدستورية، بادر السكاكيني وبعض أصدقائه وهم علي جار الله وأفتيم مشبك وجميل الخالدي⁽²³⁾ لفتح مدرسة أطلق عليها اسم المدرسة الدستورية تيمناً بالدستور العثماني، وتم الإعلان عن افتتاحها في أيلول عام 1909، واتخذت غرفة واسعة بالقرب من الباب الجديد استأجرتها من الشيخ عمر الدنف⁽²⁴⁾، ثم انتقل مقرها إلى حي المصراة بالقرب من باب العامود وذلك في إحدى العقارات التي تعود ملكيتها للحاج إسماعيل النجار⁽²⁵⁾. وقد برر السكاكيني إنشاءه لهذه المدرسة

⁽²¹⁾ خليل السكاكيني ، يوميات السكاكيني: الخروج من القطمون 1942-1952، تحرير أكرم مسلم، رام الله: مؤسسة الدراسات المقدسية ومركز خليل السكاكيني الثقافي، الكتاب الثامن، ص233، ص242، ص244، ص262، ص303. حداد، السكاكيني، ص88.

⁽²²⁾ السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الأول، ص272. وكان السلطان عبد الحميد الثاني فور تسلمه الحكم قد أعلن الدستور في 23 كانون الأول 1876 واستمر العمل بموجبه حتى شهر آذار عام 1877 حيث انتهت فرصة اندلاع الحرب بين روسيا والدولة العثمانية فأصدر أمراً بتعطيل الدستور. وفي عام 1908 أعاد العمل بموجب الدستور مرة ثانية بضغط من قبل المعارضة العثمانية وعلى رأسها جمعية الاتحاد والترقي. أنظر: جلال يحيى وجاد طه، العرب في التاريخ الحديث، د.م، دار الكتب الجامعية، 1974، ص205، ص246.

⁽²³⁾ السكاكيني ، يوميات السكاكيني ، لكتاب الأول، ص347.

⁽²⁴⁾ حداد، خليل السكاكيني، ص205.

بالنظر لعدم اهتمام المدارس الحكومية باللغات الأجنبية وتدني مستوى التعليم والتربية فيها⁽²⁶⁾. كما أن المدارس الأجنبية كانت مدارس تبشيرية لا تنطبق على حاجات البلاد ورغبات الأهالي، وكان المسؤولون عنها أجانب يجهلون أحوال البلاد، ولا يعرفون إلا القليل عنها⁽²⁷⁾. وبالتالي فقد أراد السكاكيني أن تكون مدرسته وطنية بالدرجة الرئيسية وبعيدة كل البعد عن الطائفية والمبادئ التبشيرية التي أسهمت في تغذية النزعات العنصرية والدينية في أوساط المجتمع الفلسطيني.

امتازت المدرسة الدستورية بأنها جمعت بين التلاميذ على اختلاف المذاهب والنحل دون التعرض لمذاهبهم الدينية، فقد قرر السكاكيني تعليم قراءة القرآن لمن أراد ذلك من التلاميذ المسيحيين بالنظر لثقافته أن جوهر اللغة العربية وخصوصاً الإلقاء هو قراءة القرآن بالطريقة الأصيلة، فيذكر الموسيقار المقدسي واصف جوهريّة الذي كان أحد تلاميذ هذه المدرسة أن والده شجعه على ذلك فحصل على نسخة من القرآن الكريم من أم موسى زوجة كاظم الحسيني وأخذ يتعلم قراءة القرآن على يد الشيخ أمين الأنصاري، ويضيف جوهريّة قائلاً: "وكنت أتلقى هذا العلم مع إخواني وزملائي الكثيرين من أبناء القدس المسلمين وقد ابتدأت بسورة البقرة وإني أقولها صراحة بأن هذا كان الفضل الأكبر في حياتي خصوصاً في الغناء والموسيقى العربية فكنت والحالة هذه أنطق الكلمة إن كانت في التواشيح وخصوصاً القصائد بكل إفتخار وبحضور أساتذة وعلامة اللغة العربية"⁽²⁸⁾. وقامت المدرسة أيضاً على مبدأ إعزاز التلميذ لا إذلاله، ولم يكن فيها قصاص أو جوائز أو علامات، وكان التعليم فيها على أحدث الأساليب بهدف توسيع المدارك وتقوية العقل لا حشوه بعلوم الأولين والآخرين، ولم تكن المدرسة تكلف التلاميذ بواجبات بيتية، واختارت أساتذتها من الشبان المخلصين، وتشكل فيها جميعه للصفوف العالية كانت تدعو إليها بعض الشخصيات

⁽²⁵⁾ واصف جوهريّة، القدس العثمانية في المذكرات الجوهريّة 1904-1917، تحرير وتقديم سليم تماري وعصام نصار، القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية، 2003، ص 126.

⁽²⁶⁾ السكاكيني، يوميات السكاكيني، الكتاب الثالث، ص 200.

⁽²⁷⁾ حداد، خليل السكاكيني، ص 203.

⁽²⁸⁾ جوهريّة، القدس العثمانية في المذكرات الجوهريّة، ص 129.

لتعريف التلاميذ بأداب الاجتماع، واهتمت بالسياحة والخروج إلى الطبيعة لاكتساب الصحة والنشاط وإحياء عاطفة السرور وحب الطبيعة، كما عنت بالموسيقى والأنشيد الحماسية والوطنية وإنماء الغرائز والأجيال الصالحة، وحرصت على تنشئة الطلبة على مبادئ الدستور وتنمية عاطفة الأخوة فيهم وتعزز العاطفة الوطنية العثمانية في نفوسهم. كما حرصت على مجاراة المدارس الراقية في أوروبا وأمريكا في أنظمتها وأدواتها وألعابها وفي الحياة المدرسية بحيث تكون للتلميذ جواً رفيعاً يتربى فيه على الذوق الجميل والأخلاق الكريمة والآداب الرفيعة والمبادئ الصحيحة⁽²⁹⁾. كما اهتم السكاكيني في هذه المدرسة على حث التلاميذ في الاهتمام بصحتهم من خلال ممارسة الألعاب الرياضية، فيذكر واصف جوهرية الذي كان يدرس في تلك المدرسة أن السكاكيني كان دائماً ينصح التلاميذ بالمحافظة على أجسامهم انطلاقاً من مقولة العقل الصحيح في الجسم الصحيح فكان يطلب منهم ممارسة التمارين الرياضية بشكل دائم لتقوية أجسامهم والحفاظ على صحتهم، ويوجههم إلى نوعية الغذاء الذي ينبغي أن لا ينقطعوا عن تناوله باستمرار لما يحتوي عليه من فوائد صحية وضرورية لتقوية الجسم وزيادة المناعة لديه⁽³⁰⁾.

وحدد السكاكيني رسوم المدرسة السنوية بخمس ليرات فرنسية، وفي بستان الأطفال خمسون فرنكاً، وتدفع الرسوم على قسطين، القسط الأول عند الدخول، بينما يدفع القسط الثاني بعد ثلاثة أشهر. أما الكتب والدفاتر والأقلام والأوراق فتكون على حساب التلميذ، وتباع داخل المدرسة بأسعارها الأصلية⁽³¹⁾.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، أغلقت السلطات العثمانية المدارس الأجنبية التي كانت تشرف عليها دول الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا)، فأخذ الكثير من طلبة تلك المدارس يلتحقون بالمدرسة الدستورية، وكان السكاكيني واثقاً أنه حتى بعد فتح تلك المدارس فإن الطلاب والأهالي سيفضلون البقاء في المدرسة الدستورية بالنظر لما كانت تمتاز به من ميزات لم تكن تمتاز بها المدارس الأجنبية، فهي

⁽²⁹⁾ السكاكيني، يوميات السكاكيني، الكتاب الأول، ص348-347. السكاكيني، يوميات السكاكيني، الكتاب الثالث، ص44. حداد، خليل السكاكيني، ص204.

⁽³⁰⁾ جوهرية، القدس العثمانية، ص128.

⁽³¹⁾ حداد، خليل السكاكيني، ص204.

لم تكن تتعرض لأحد في دينه، وكانت تعنى باللغة العربية أكثر من تلك المدارس، كما أن غرضها من التربية كان إشراك الطلاب روح الاستقلال وتنشئتهم على العزة والأنفة والرجولة، علاوة على أن المعلمين في المدرسة الدستورية كانوا أفضل بكثير من معلمي المدارس الأجنبية⁽³²⁾.

ويصف إسعاف النشاشيبي طلبة المدرسة الدستورية بمقال له بعنوان "شهادة حق - المدرسة الدستورية" نشر في صحيفة فلسطين فقال " قد قسرني الواجب أن فحصت طلاب هذه المدرسة في اللغة العربية، وبعد أن شاهدت يوم احتفالها بختام حولها الثاني ... عليّ أن أشيد على رؤوس الأَشهاد، بفضل هذا المعهد العلمي التهذيبي، ولا أكفره وأن أجهر بما بصرت به، ومما أستمتعته ولا أحبه، فقد والله العلي وكتاب العربي ورسوله القرشي الهاشمي، سمعت ورأيت من نجاح طلابها وتقدمهم وتبريزهم وتهذيبهم ومساواتهم تلاميذ مدارس الغرب، في خلائقهم وعاداتهم وآدابهم ما راعني وشد ذهني وأحبرني وسرني"⁽³³⁾.

استمرت المدرسة الدستورية في أداء واجبها الإنساني والعلمي لأبناء القدس حتى عام 1917 حيث قرر السكاكيني إغلاقها، وبرر ذلك أنه لم يعد العمل فيها مجدياً بالنظر إلى اعتماده على نفسه لوحده دون أن يتلقى مساعدة من أية جهة، وبالتالي فلم يكن بمقدوره منافسة المدارس الأجنبية التي كانت تتلقى دعماً خارجياً. وذكر أيضاً أن المبادئ التي يطبقها في مدرسته على صعيدي التربية والتعليم لم يألفها الناس، ولم يكن ينتظر منهم أن يقدروها⁽³⁴⁾.

غير أن سجن السكاكيني في دمشق عام 1917 أدى إلى إغلاق المدرسة⁽³⁵⁾. إذ لم تجد من يتولى الإشراف عليها خلال الفترة التي غاب عنها السكاكيني. وفي بداية العام الدراسي من عام 1919 قرر السكاكيني عدم إعادة فتح مدرسته بحيث لم يعد لها حاجة على حد قوله بالنظر لاعتناء المدارس الحكومية باللغات الأجنبية ولا تتعرض لأحد في دينه لتسد بذلك مسد المدرسة الدستورية⁽³⁶⁾.

(32) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الثاني، ص136.

(33) قسطندي شوملي، الاتجاهات الأدبية النقدية في فلسطين، القدس: دار العودة للدراسات والنشر، 1990، ص24-23.

(34) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الثاني، ص169.

(35) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الثالث، ص200.

كلية النهضة:

بقي هاجس تأسيس مدرسة أخرى يراود السكاكيني، ففي عام 1938 وبعد إحالته على التقاعد، أنشأ بالاشتراك مع الأساتذة إبراهيم شحادة الخوري ولييب غلمية وشكري حرامي مدرسة داخلية في حي البقعة الفوقا جنوب باب الخليل خارج أسوار المدينة عُرفت بكلية النهضة⁽³⁷⁾.

طبق السكاكيني أساليب المدرسة الدستورية على كلية النهضة إذ لا قصاص ولا جوائز ولا علامات ولا واجبات بيتية، وأضاف على ذلك فلا كتاب مقرر، حيث كان يرى أن التعليم مر عليه ثلاث أدوات: الأول الاستظهار وفي هذا الدور كان المعول على الذاكرة، وكانت المعرفة تقاس بمقدار ما يحفظه الواحد عن ظهر قلبه، والدور الثاني القراءة أي أن المعرفة كانت تستفاد وتستمد من الكتب، أما الدور الثالث فيتمثل بالمحادثة والذي غدت فيه المعرفة عن طريق المحادثة⁽³⁸⁾.

أما مبادئها فيذكر بأن التربية فيها مبنية على إعزاز التلاميذ وتكبير نفوسهم وتهذيب غرائزهم، والتعليم فيها مبني على إرهاف ذهن التلميذ وتوسيع مدارسه، وتعني بالعلم بمفهومه الصحيح العلم من أجل العلم لا من أجل نيل الشهادات أو لإعداد الطلاب لوظائف حكومية أو غيرها⁽³⁹⁾.

⁽³⁶⁾ ياسين ، ذكرى السكاكيني، ص 61. حداد، خليل السكاكيني، ص 208.

⁽³⁷⁾ ياسين ، ذكرى السكاكيني ، ص 61 . حداد ، خليل السكاكيني ، ص 208 . وينكر واصف جوهرية أن العمران في هذا الحي بدأ منذ أوائل القرن العشرين عندما أخذت بعض الأسر المقدسية من المسيحيين والمسلمين بالتفكير في البناء خارج البلدة القديمة. وكان مما شجع هذه الأسر لتشييد منازل لها في هذا الحي وجود محطة سكة القطار وبعض المنشآت العمرانية الأخرى التي أقيمت أواخر القرن التاسع عشر. ولمزيد من التفاصيل أنظر: جوهرية ، القدس العثمانية ، ص 54 . كذلك أنظر: سليم تماري، القدس 1948: المدينة المهجرة، مجلة الدراسات الفلسطينية ، المجلد 10 ، العدد 38 ، ربيع 1999 ، ص 3 .

⁽³⁸⁾ السكاكيني ، يوميات السكاكيني ، الكتاب السابع، ص 395.

ومن مبادئها أيضاً أنها حرة لا تتقيد بالعمر، فلا يوجد فيها صفوف لكل صف عمر محدد، بل كانت تقبل الطالب في الصف الذي يناسبه دون مراعاة عمره، كما أنها حرة لا تتقيد برأي أحد ولا تقبل الرأي إلا بعد تمحيصه وتحقيقه، ولم تكن تنتمي إلى حزب سياسي دون آخر أو تصطبغ بصبغة دينية دون أخرى فهي للجميع بغض النظر عن الفوارق الدينية والطائفية والطبقية والسياسية⁽⁴⁰⁾.

وامتازت هذه المدرسة أن لكل صف فيها دروساً معينة، فقد يدرس الطالب في الصفوف العليا دروساً أولية، وقد يدرس في الصفوف الأولية دروساً عالية، ولا يشعر الطالب في الصفوف بأنه مقيد بموضوع معين فقد "ننتقل من درس اللغة إلى درس القواعد، أو من درس القواعد إلى درس الإملاء، أو في الخط، بل قد نتحول عن هذا وذاك ونجعل الصف مسرح تمثيل، أو جمعية وطنية، أو أدبية"⁽⁴¹⁾.

ولتعزيز ثقة الطالب بنفسه لم تكن المدرسة تتقيد بالحضور والغياب، ولا يطلب من الطالب المتغيب إحضار ما يبرر سبب تغيبه، فالعذر الذي يقدمه يكون مقبولاً، فالمدرسة لا تكذب طالباً ولا تشعره بأنها لا تثق به ولذلك فقلما كان طالب يتغيب عن المدرسة⁽⁴²⁾ بعد أن تعلقوا بها وبأسلوبها وبطرائق التدريس فيها والحرية التي كانوا يتمتعون بها.

ويضيف السكاكيني أن التعليم في هذه المدرسة ليس ادخاراً ولا استظهاراً وإنما حياة واستعمال "نعلم طلابنا التاريخ لا يعرفوا التاريخ ولكن ليكونوا مؤرخين، نعلمهم الأدب لا يعرفوا أصول الأدب ولكن ليكونوا أدباء، نعلمهم اللغة لا يعرفوا اللغة ولكن لينزلوا منها منزلة أهلها. نعلمهم الرياضيات لا يعرفوها ولكن لتكون أدمغتهم أدمغة رياضية، نعلمهم الكيمياء لا يعرفوا الكيمياء، ولكن ليكونوا كيمائيين"⁽⁴³⁾.

(39) المصدر نفسه، ص462.

(40) السكاكيني، يوميات السكاكيني، الكتاب السابع، ص224.

(41) المصدر نفسه، الكتاب السابع، ص224.

(42) المصدر نفسه، الكتاب السابع، ص224.

لقد كان السكاكيني يطمح من هذه المدرسة أن تخلق جيلاً جديداً من الطراز الأول⁽⁴⁴⁾، وأن تكون مكان تربي وتعلم لا مكان تربية وتعليم، بمعنى أن الطلاب يعلمون ويربون أنفسهم بأنفسهم، ويحلون مشاكلهم بأنفسهم⁽⁴⁵⁾، حتى يكونوا خميرة صالحة في المجتمع وقدوة حسنة فيه، فهذا هو يخاطب طلابه في إحدى حفلات التخرج يوصيهم بأن يحترموا كل من يستحق الاحترام دون أن يعبدوا أحداً، وأن يعظموا كل من يستحق التعظيم دون أن يستصغروا أنفسهم، وأن لا يتعدوا على أحد ولكن لا يسمحون لأحد أن يتعدى عليهم، ويدعوهم للتساهل في كل شيء باستثناء كرامتهم⁽⁴⁶⁾.

لم يقتصر عمل المدرسة على التعليم فقط داخل الصفوف، بل كانت تقوم بكثير من النشاطات الأدبية كعقد حفلات المسابقات في الإلقاء والخطابة والتي كانت تجريها في قاعة الخطابة في جمعية الشبان المسيحية في القدس⁽⁴⁷⁾.

استمرت المدرسة حتى نكبة عام 1948 ليغادر بعدها خليل السكاكيني مدينة القدس إلى القاهرة حيث عين عضواً في مجمع فؤاد الأول للغة العربية وبقي هناك حتى وافته المنية عام 1953.

السكاكيني ومبادئه التعليمية والتربوية

أمن السكاكيني أن التعليم والتربية أمران متلازمان كل التلازم ولم يكن يفصل بينهما، فوظيفة المعلم لا تقتصر على التعليم وتلقين التلاميذ الدروس فقط، بل أيضاً تربية التلميذ وتوجيهه لما فيه خير ومصلحة الوطن، وحرص بشكل دائم على نشر هذا المفهوم وتعميمه من خلال لقاءاته ومحاضراته التي كان يلقيها في مختلف المدارس خلال عمله في إدارة المعارف، ومن خلال كتابة مقالاته في الصحف والمجلات

(43) ياسين ، ذكرى السكاكيني، ص89. حداد، خليل السكاكيني، ص209.

(44) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الثامن، ص135.

(45) حداد، خليل السكاكيني، ص209.

(46) المرجع نفسه، ص211.

(47) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الثامن، ص135.

المحلية والعربية التي كان يدعو من خلالها إلى تصويب الوضع القائم في المدارس الرسمية ودفع إدارتها لانتهاج نمط جديد يتحقق من خلاله تحسين أوضاع التعليم والتربية في فلسطين⁽⁴⁸⁾.

استغل السكاكيني عمله خلال عهد الإدارة العسكرية في هيئة المعارف ومديراً لدار المعلمين للاهتمام بشؤون التعليم وتطوير المدارس، ففي 19 كانون الثاني 1919 استدعاه مدير المعارف الميجر تدمن للتباحث معه بشأن المدارس التي تحتاج إليها البلاد، وقد بين له السكاكيني ذلك بقوله: "أن المدارس التي تحتاج إليها مثل المدارس في أوروبا: بساتين أطفال فمدارس ابتدائية، فمدارس ثانوية، بشرط أن تكون مدارس حقيقية لا بالاسم فقط، وان نختار لها من المعلمين والمعلمات الأكفاء، لا أن تكون المدارس مأوى عجرة خاملين، وأن يكون التعليم فيها مجرد عن كل تأثير ديني أو جنسي أو سياسي، أي يجب أن تكون أمينة للعمل، وإذا لم يكن بد من التعليم الديني فليعلم كل تلميذ أصول مذهبه، بشرط أن نختار أساتذة الدين من خيرة الناس وأفاضلهم، لا أن نتركهم وشأنهم، لئلا يكون تعليمهم عبارة عن سخافات تضلل العقول وتفسد العقائد الوطنية، وتنشئ تعصباً ذمياً، وتولد في النفوس كره المدنية واحتقار المذاهب العلمية ... إننا نحتاج إلى مدارس تثبت في التلاميذ روح الحرية والإباء والاستقلال والشجاعة والصدق"⁽⁴⁹⁾.

وخلال لقائه مع إسعاف النشاشيبي خلال العام 1919 حيث تناولا وضع المدارس والتعليم في فلسطين، اتفقا أن المدارس لا ترقى إلى حاجة البلاد إلا إذا تطوع للتعليم فيها أبناء الطبقة الراقية من المجتمع من أصحاب النفوس الكبيرة والهمم العالية والوطنية والصادقة والأخلاق الحميدة، وأن لا تترك "للصعاليك الجياع العراة المتملقين المداهنين، فأحرى بنا أن نكون كمن يتجرع السم بيده"، لأن المدارس التي تحتاجها البلاد هي تلك التي ترفع النفوس وترقي الأخلاق وتربي الناشئة على المبادئ العالية، وهذا لا يستطيع القيام به إلا كبار الناس لا صغارهم⁽⁵⁰⁾.

(48) حداد، خليل السكاكيني، ص212.

(49) السكاكيني، يوميات السكاكيني، الكتاب الثالث، ص44.

ويرى السكاكيني أن المدارس ينبغي أن تكون أمينة للعلم فالتعليم يجب أن يكون وطنياً أولاً وصالحاً ثانياً⁽⁵¹⁾، ولا يوجد في العلم الغاية تبرر الوسيلة، إذ لا يكفي أن نعلم ونربي، ولكن يجب أن نعرف كيف نعلم ونربي أي بمعنى أن تكون الغاية والوسيلة مبررتين⁽⁵²⁾، للجمع بين فائدتَي كل منهما، فإذا أردنا كما يقول تعليم تلميذ صغير القراءة فلا يجوز إيذاء عقله أو نفسه أو جسمه في سبيل هذه الغاية، فالغاية لا تتحقق إذا كانت الوسيلة جيدة، وإذا لم تكن الوسيلة جيدة فلا كانت الغاية، وبالتالي فمن الأفضل أن لا يتعلم التلميذ شيئاً إذا كنا نعرض عقله أو نفسه أو جسمه لأقل أذى في سبيل ذلك، فإذا كان الأسلوب لا ينطبق على العقل أو شاقاً فقد يوصلنا إلى الغاية ولكن بعد إيذاء عقل التلميذ وجسمه كثيراً أو قليلاً فمن الممكن تعليم التلميذ بالقسوة " علوم الأولين والآخرين، ولكن سيولد ذلك في صدره وسيولد في " صدره كرهاً يندسُّ في عقله الباطن إلى أن يجد له مخرجاً، ولو في مستقبل حياته، فيظهر بمظاهر غريبة نحار في تعليلها فقد يتحول هذا الكره إلى تمرد عنيف على قوانين البشر وشرائعهم وأدابهم، بل قد يتحول إلى نزعة قوية إلى الإجرام وحب الأذى فإن معظم النار من مستصغر الشرر"⁽⁵³⁾.

لقد استغل السكاكيني عمله كمفتش في إدارة معارف فلسطين لتحقيق هدفه التعليمي والتربوي من أجل النهوض بالمدارس وبالتالي النهوض بالوطن، فحرص على بعث النشاط في المعلمين والطلاب من خلال التوجيهات والملاحظات التي كان يبديها خلال جولاته التفتيشية انطلاقاً من إيمانه أن عملية التغيير في المفاهيم والقيم تتم بفعل المدرسة، كما حرص أيضاً على بث روح الثورة على الجمود والتخلف والضعف وعلى الأخلاق الفاسدة، ففي إحدى الخطب التي ألقاها أمام أساتذة مدارس قضاء نابلس أكد على

(50) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الثالث ص141.

(51) جهاد أحمد صالح، الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين : خليل السكاكيني رائد التجديد في الحياة الأدبية في فلسطين ، رام الله ، منشورات الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين ، 2010 ، ص43.

(52) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الرابع، ص374.

(53) السكاكيني ، الأصول في تعليم اللغة العربية ، ص69 .

ضرورة بناء المدارس على أساس إعزاز الطالب، وحض الأساتذة على ضرورة إخراج كتلة من الناشئة تحب العمل، ويعززوا الثقة في نفوس الطلاب، كما حثهم على الاهتمام بقراءة أهم المؤلفات الحديثة في علم التربية وأصول التدريس، وكان مما خاطب به الأساتذة قوله: " إياك أن تكون أيها الأستاذ شديد المراقبة على التلميذ عند الإملاء، أشعره بأنك تثق به وبشرفه، غض الطرف إن ظهر منه أي شيء، لا تقل له أنت كاذب، صدقه ولو كان كاذباً"⁽⁵⁴⁾.

لقد تنوعت الوسائل التي كان يتخذها السكاكيني بغية تحقيق أهدافه التربوية وكان كثيراً ما يلجأ إلى الأسلوب غير المباشر، فإذا أراد أن يحث على فضيلة أو خلق أو عمل نافع كان يلجأ إلى الحديث عن ذلك بلهجة المعجب أو بلهجة يقرر وجودها في المخاطب، أو بالنصيحة المباشرة مغموسة بروح الفكاهة اللطيفة⁽⁵⁵⁾. ففي الكلمة التي ألقاها في حفلة توزيع الشهادات على خريجي الدفعة الأولى من كلية النهضة خاطب الطلبة الخريجين قائلاً:

"أيها الخريجون الكرام! بم أوصيكم! أوصيكم بما أوصي به عمر بن فخذ العبقي لبني عمه، فقال: من كلمكم فاشتموه، ومن شتمكم فاضربوه، ومن ضربكم فاقتلوه، ومن قتلكم كلفته إما أن يحييكم ويعطي الدية، وإما أن يعطي الدية وأقتله؟ لا ، معاذ الله! لم يحصل لي الشرف أن أكون عمرو بن فخذ العبقي، وأظن أنه لم يحصل لكم الشرف أن تكونوا لبني عمه" ... ثم يعطي الخريجين عدة نصائح فيقول: "ستجدون من الناس من هم أشبه بالملائكة ومنهم من هم أشبه بالأبالسة، أما الملائكة فكونوا معهم ملائكة، وأما الأبالسة فالويل لهم منكم. ستجدون من الناس من يسرق ليعيش، ومنهم من يعمل ليعيش، فإذا لقيتم النوع الأول فلا تسلموا على أحد قبل أن تعدوا أصابعكم، وإذا لقيتم النوع الثاني فاحنوا رؤوسكم إلى الأرض إجلالاً لهم، احترموا كل من يستحق الاحترام، ولكن لا تعبدوا أحداً. الحياة فضيلة ولكن إذا حاول الأشرار أن يستغلوا حياكم فلا تكونوا ذوي حياء ... هذه كلماتي فإذا أفادتكم فاذكروني بالخير،

(54) حداد، خليل السكاكيني، ص213.

(55) ياسين ، ذكرى، السكاكيني، ص87.

ورحموا علي، وإذا لم تستفيدوا منها فإذا لقيتموني في الطريق فلا تسلموا علي، وإذا مت فلا تمشوا في جنازتي" (56).

وفي خطبة ثانية أمام دفعة أخرى من الخريجين خاطبهم قائلاً:

طلابنا أباة ضيم ، فإذا سيموا خطة خسف، قالوا والأوداج منتفخة والعيون محمرة: لا ... طلابنا كبار النفوس، فلا يطمع أحد أن يتخذهم أبواقاً جوفاء، أو آلات صماء ... طلابنا لا يخافون شيئاً ولو سقط من السماء على الأرض .. طلابنا أصحاب همم عالية والدنيا في نظرهم أضيق من كفة حابل، وأقل من حبة خردل، طلابنا لا يتملقون أحداً، بل هم كالفيلة التي إذا قدم لها علفها فلا تعتلفه حتى تمسح وجوهها ويتملق لها ... هؤلاء هم طلابنا، أفسحوا لهم الطريق، بوثوبهم المكان الذي يليق بهم تحت الشمس ولا تلجنوهم إلى القتال فإنهم ما غولبوا إلا غلبوا" (57).

يبدو واضحاً من النصوص السابقة أن السكاكيني أراد أن ينشئ جيلاً ألباً عفيفاً عزيز النفس، متربياً على الأخلاق الحميدة ، وطنياً حراً في تفكيره ،شجاعاً جريئاً متفتحاً ، واثقاً من نفسه ،يعتمد في حياته على نفسه، يصون كرامته ، متربياً على القيم والمثل والمبادئ الإنسانية لا جيلاً منافقاً ومجاملاً وتابعاً يفتقر لحرية الرأي .

ودعا السكاكيني أن يكون الهدف الرئيس من التعليم خدمة الإنسانية بعيداً عن الذاتية والمصلحة الخاصة، وبرأيه فإن المتعلمين ينقسمون إلى قسمين، قسم لا يتعلم إلا إذا كان هناك من يعلمه وقسم يعلم نفسه بنفسه، وقد يتعلم القسم الأول " علوم الأولين والآخرين، ولكنه لا يطلب العلم لأجل العلم، وإنما يطلبه ليغنى وهو الفقير، أو ليعلو وهو الوضيع، فالعلم عنده وسيلة لا غاية، وكما امتهن هذا الفريق العلم وسخره

(56) ياسين ، ذكرى السكاكيني، ص88. الناعوري، خليل السكاكيني، ص30-29.

(57) ياسين ، ذكرى السكاكيني، ص87.

لأغراض دنيئة ... وأما القسم الثاني فإنه يطلب العلم لأجل العلم مختاراً لا مضطراً، بهذا الفريق يعتز العلم ويسعد البشر" (58).

وحت أساتذة المدارس أن يوسعوا ثقافتهم وأن لا يعتمدوا في دروسهم على كتاب واحد، بل على عدة كتب، ما ينعكس إيجاباً على الطالب .. (59). كما دعا أيضاً أن يتعلم الطالب في المدرسة علوم الحياة والطبيعة والصحة والنفس ووظائف أعضاء الجسم وعلم الأرض، فمن "السخر أن يخرج طلابنا من المدارس وهم لا يعرفون نواميس الطبيعة، وهم يجهلون أنفسهم وأجسادهم وعقولهم وأهواءهم وغرائزهم" (60).

وحت السكاكيني الطلاب على ضرورة الاهتمام بالتعليم الذاتي من خلال القراءة وأن لا يبقوا عالة على أساتذتهم "فما من كتاب نقرأه إلا احتجنا فيه إلى أستاذ يوضح لنا مبهمة ويفصل مجمله ويفسر ألفاظه وتراكيبه واصطلاحاته" (61). ويعتبر الأستاذ ما هو إلا أداة صلة بين الطالب والموضوع الذي يدرسه، فعلى الأستاذ أن يعين الدرس الذي يجب أن يدرسه الطالب، ويرشده إلى الطريق التي يجب أن يتعلم بها ذلك الدرس، وبعد ذلك يجب أن يعلم الطالب نفسه بنفسه. وانتقد أسلوب بعض الأساتذة الذين يقاطعون الطالب إذا أخطأ خلال القراءة الجهرية للدرس وذلك بالتنبيه على خطئه، ومنهم أيضاً من يصبر على الطالب حتى يصل إلى آخر الفقرة، ثم يسألون زملاءه عن الأخطاء التي ارتكبها وذلك بحجة أن ذلك يعود الطلاب الانتباه، ويرى أن كلتا الطريقتين خاطئتان، فالأولى تذهب بلذة الطالب في قراءته فتحول دون فهمه ما يقرأ، أما الثانية فتعود الطلاب الانتباه ولكن لأخطاء غيرهم لا إلى خطأهم هم، وعليه فإن الطريقة المثلى هي أنه إذا قرأ الطالب فأخطأ فعلى الأستاذ أن يساعده إلى الاهتداء إلى خطأه، وإصلاحه بنفسه، وذلك بتكليفه قراءة

(58) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الرابع ، ص266.

(59) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الثالث ، ص52.

(60) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب السابع ، ص233.

(61) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب السادس ، ص52.

الفقرة التي وقع فيها الخطأ مرة ثانية، وفي حال تكرار الخطأ فعلى الأستاذ أن يضيق الدائرة وذلك بأن يطلب من الطالب قراءة السطر الأول أو الثاني، وإذا تكرر الخطأ فليضيق الدائرة أكثر بأن يطلب من الطالب قراءة الجملة الأولى أو الثانية، وإذا لم يعرف خطأه فليعين له موضع الخطأ من خلال تكليفه قراءة الكلمة الأولى أو الثانية ، فإذا عرف خطأه فقد يصلحه بنفسه وإلا فليُنظر الأستاذ كيف يساعده على إصلاحه. وإذا لم يعرف الطالب معنى كل كلمة فعلى الأستاذ أن يساعده لاستخراج معناها من القرينة أو من القاموس بنفسه، وإذا طلب منه كتابة شيء فليعرض عليه موضوعين أو ثلاثة ليختار واحداً منها بنفسه، وإذا كلفه استظهار قصيدة، فليعرض عليه قصيدتين أو ثلاثاً ليختار بنفسه واحدة منها⁽⁶²⁾.

وشدد السكاكيني في مبادئه التعليمية على إعزاز التلاميذ لا إذلالهم وتكبير نفوسهم لا تصغيرها والعمل على إنماء عواطفهم وأميالهم وتهذيبها وإطلاق حرياتهم لا تقييدها، ولذلك فقد طبق في كل من مدرستي الدستورية والنهضة هذه المبادئ فلم يكن فيهما قصاص ولا جوائز ولا علامات لما لذلك من تأثير سلبي على نفوس التلاميذ وعواطفهم وأخلاقهم⁽⁶³⁾.

ودعا إلى الاهتمام بإطلاق حريات الطلبة وتوسيع آمالهم ورفع شأنهم وتعويدهم أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم، وقد طبق هذه السياسة خلال توليه إدارة مدرسة دار المعلمين عام 1920، فأنشأ للطلبة جمعية للمناظرة وإلقاء القصائد في كل يوم خميس في الأسبوع، كما أنشأ لهم مجلة نصف شهرية أطلق عليها اسم الجوزاء وكان التلاميذ يتولون كتابتها بأنفسهم، وأنشأ أيضاً جمعية إصلاحية تتولى حل المشاكل في المدرسة دون تدخل الأساتذة، وجمعية اقتصادية أرصدت وارداتها للمجلة وشراء بعض الكتب ولوازم الألعاب الرياضية، وجمعية إدارية للاهتمام بإدارة النزل والمشاركة على الطبخ، وكان يحث التلاميذ على المطالعة

(62) السكاكيني، الأصول في تعليم اللغة العربية، ص 85-84. ص 113

(63) السكاكيني، يوميات السكاكيني، الكتاب الثالث، ص 44. كذلك أنظر: السكاكيني، يوميات السكاكيني، الكتاب السابع، ص 130.

فأنشأ لهم مكتبة جمع فيها بعض الكتب المهمة وحث الطلاب على المطالعة بحيث فرض عليهم أن يقرأ اثنان أو أكثر منهم كل يوم بعد العشاء على بقية الطلبة من تلك الكتب ما يقع عليه اختيارهم⁽⁶⁴⁾.

كان يرى أن واجبات المدرسة بث روح الأنفة والإباء في نفوس طلابها⁽⁶⁵⁾ والعمل على احترام التلميذ ومنحه الحرية حتى ينمي قواه⁽⁶⁶⁾، فيجب إطلاق الحرية للطلاب ليشعروا أنهم أعضاء أسرة واحدة "لا متهمون أمام القضاء أو عبيد أمام السادة"، ومع أن بعض التلاميذ قد يخطئون في استعمال هذه الحرية إلا أن فوائد الحرية على حد قوله إذا قيست "على كثرتها بمضارها على قلتها، كان هذا الخطأ يسيراً لا يؤبه له، وإنني لأفتخر أن أكون أول من نادى في هذه البلاد بتحرير الطالب وإحسان معاملته وإن لقيت من سماجة بعض الطلاب ولؤمهم وخبثهم ما كدت معه أن أرجع عن مذهبي هذا⁽⁶⁷⁾".

ولم يكن السكاكيني يؤمن بالضرب والتهديد والتوبيخ للطلبة، وكان كثيراً ما يؤكد على هذه السياسة خلال جولاته التفتيشية في المدارس، ويروي أنه خلال قيامه بزيارة مدرسة حيفا وجد أحد الطلاب أحمرأ بسبب ضربه من قبل أحد المعلمين، فما كان منه إلا وأن جمع أساتذة المدرسة وألقى عليهم كلمة شدد فيها على عدم اللجوء إلى استخدام العنف مع الطلبة، ومما قاله "ليس شيء أكره إلي من أن تساس المدارس بالعنف وإنني أشكر الله أني أول من نادى في هذه البلاد بتحرير التلميذ، ولم أزل منذ توليت عملي أنادي بتحرير التلميذ وبناء تربيته على إعزازه لا إذلاله"⁽⁶⁸⁾.

وحرص على الحفاظ على كرامة التلاميذ، فقد يقوم بعض التلاميذ بسرقة أغراض زملائهم من أقلام أو كتب أو دفاتر أو غير ذلك، وفي مثل هذه الحالة فلا يجوز تفتيش مكاتب الطلبة أو ملابسهم، لأن من شأن ذلك أن يجعل جميع الطلبة متهمين ما يُعد إهانة لهم باستثناء التلميذ الذي ارتكب السرقة، بل

⁽⁶⁴⁾ السكاكيني ، يوميات السكاكيني ، الكتاب الثالث، ص207.

⁽⁶⁵⁾ السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب السادس، ص86.

⁽⁶⁶⁾ ياسين ، ذكرى السكاكيني، ص44.

⁽⁶⁷⁾ السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الرابع، ص153.

⁽⁶⁸⁾ السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الرابع، ص256.

الأفضل أن لا يكشف أمر السارق حتى لا يفقد مكانته بين زملائه، فمن الممكن أن تتحسن أخلاقه مع الزمن، بينما إذا انكشف أمره فسيفتقد هذه المكانة ويستولي عليه الشعور بالضعف، وقد يتماذى في سلوكه وتصرفاته السيئة لأنه لم تعد له مكانة يحرص عليها، كما أنه سيرى في سلوكه الرديء ما يضمن له الانتقام من المجتمع، لأن الشر يدعو إلى الشر، لذا ففي هذه الحالة لا يجوز إدانة الجميع، ولا يجوز المبالغة في التفتيش عن المجرم بل الأفضل عدم التفتيش عنه بتاتاً، وفي حال معرفته فالأفضل إيهامه بعدم معرفته، وأنه لا تزال له مكانة بين زملائه وأساتذته، لأننا "بهذه المكانة نستطيع أن نرفع نفسه ونولد في صدره كرامة، وخير للجميع أن نفقد الأرقام كلها من أن نخلق من الطلاب بعض الطلاب المجرمين". وفي حال تكرار مثل هذه السرقات فإن الطلاب سيحتاطون على أغراضهم، فبدلاً من أن نقول لهم "لا تسرقوا وهذه إهانة لهم جميعاً، نقول لهم لا تدعوا أحداً يسرقكم وليس في ذلك ما يمس كرامة أحد"⁽⁶⁹⁾.

أمن السكاكيني في أسلوبه التربوي على بث الفرحة في نفوس الطلاب وإدخال السعادة إلى قلوبهم، فيروي أنه ذات مرة وخلال تفتيشه على الصف التمهيدي في مدرسة حيفا طلب من الأولاد أن يخرج كل منهم منديله، فأخرج كل منهم منديله ما عدا طالب واحد كان منديله عبارة عن خرقة ممزقة، ولدى سؤال السكاكيني له عن ذلك أجاب الطفل بأنه لا يوجد عنده منديل، فتأثر السكاكيني حتى اغرورقت عيناه بالدموع، فما كان منه إلا وأن أعطى مدير المدرسة خمسة قروش وكلفه بشراء منديلين لذلك الطفل⁽⁷⁰⁾.

كما حرص أيضاً في طريفته في التعليم على إضفاء طابع المرح والسرور على وجوه الطلاب وتشويقهم للدرس واستخدام كثير من الكلمات التي تعبر عن المدح والتشجيع حتى يعزز ثقتهم بأنفسهم ولا يشعر أحد منهم بالملل والتعب، ولم يكن يزرهم أو يخيفهم أو يهددهم، بل كان يسمح لهم بالحركة داخل

(69) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب السابع، ص139.

(70) السكاكيني ، يوميات السكاكيني، الكتاب الرابع، ص255.

قاعة الصف، ولم يكن هناك ضابط للنظام سوى الأسلوب والمشوقات وكلمات التشجيع حتى يضيف طابع المتعة على الدرس لا أن يكون واجباً ثقيلاً على الطلاب⁽⁷¹⁾.

كان الجانب الوطني أكثر الجوانب التي ركز عليها السكاكيني في أسلوبه التربوي حتى يخرج جيل يؤمن بعروبتة وعدالة قضيته وتمسكه بها ودفاعه عنها، ففي 11 كانون الأول 1934 زار مدرسة طبرية، وأخذ ينتقل بين صفوفها يلقي دروساً نموذجية كان منها قصيدة أحمد شوقي "عصفورتان في الحجاز"، ويذكر أنه عندما وصل إلى قوله "لا شيء يعدل الوطن" طلب من الطلبة إعادتها عدة مرات وأخذوا يرددون معه "ليحيى الوطن"، ثم جمع أساتذة المدرسة وألقى عليهم محاضرة قال فيها "نحن ألف معلم منبثون في المدن والقرى والبادية، فنحن قوة كبيرة ومسؤوليتنا عظيمة، إذا كان كل واحد منا وطنياً وحاول جهده أن يبث الروح الوطنية في تلاميذه، هيأنا للبلاد جيشاً حراً شجاعاً شريفاً مثقفاً⁽⁷²⁾.

وخلال زيارته للناصرية في الشهر نفسه عالج القصيدة نفسها أمام المعلمين والمعلمات مبيناً لهم كيف يكون التعليم وطنياً صحيحاً، وطلب منهم أن يجعلوا عبارة "لا شيء يعدل الوطن" كعنوان للقصيدة وأن يعيدوا ذلك أمام الطلبة خمس مرات، ثم يقول لهم "تعالوا نصيح بملء أصواتنا ليحيى الوطن"⁽⁷³⁾.

ويبين السكاكيني واجبات المدرسة في بث روح الأنفة والإباء في نفوس التلاميذ، وتحثهم على أن يفخروا بعروبتهم وأمتهم، فهناك الكثير من المبادئ التي يحق للعرب أن يفخروا بها كالكرم والوفاء والشجاعة والعفو والنجدة والنخوة والحياء والوفاء، ويضيف قائلاً: " فليس شيء أدعى إلى الانحطاط من أن نشعر أننا من أمة حقيرة، من أن نخجل بأنفسنا، ونتمنى لو كنا من أمة أخرى "⁽⁷⁴⁾. لذا نراه خلال

(71) ياسين، ذكرى السكاكيني، ص99.

(72) السكاكيني، يوميات السكاكيني، الكتاب الخامس، ص387.

(73) السكاكيني، يوميات السكاكيني، الكتاب الخامس، ص384.

(74) السكاكيني، يوميات السكاكيني، الكتاب السادس، ص86.

قيامه بجولاته التفتيشية على مختلف المدارس بحكم وظيفته يشدد على المعلمين ويحثهم على أن يبشروا بهذه المبادئ والقيم والمثل، وأن يعملوا على إحياء العاطفة الوطنية في نفوس الطلاب.

ويعد السكاكيني أن كتاب القراءة المدرسية يُعد من أهم الكتب أهمية في تربية الأجيال وأكثرها تأثيراً في نهوض الأمم. لذا نراه يدعو ابنه سري أن لا يستهين بكتب القراءة المدرسية، فقد يكون لكتاب صغير يوضع في أيدي الطلاب تأثير كبير في نهوض الأمة وسعادتها لا تغني عنه كثير من الكتب الأدبية الضخمة. وأورد مثلاً على ذلك أنه كان من بين الشروط التي اشترطتها النمسا وألمانيا على صربيا عام 1914 إلغاء أحد الكتب الذي كان مقرراً في المدارس الابتدائية في صربيا، ويتساءل السكاكيني قائلاً: "أليس من العجب أن تخاف النمسا وألمانيا من كتاب صغير"؟⁽⁷⁵⁾.

ويتضح من خلال أسلوبه التربوي تركيزه على الشعر كوسيلة لغرس القيم والمثل العليا في نفوس الطلاب وعقولهم، فيرى أن إحدى ميزات اللغة العربية أنها لغة شعرية لكثرة استعمال المجاز والكناية والاستعارات والإشارات والتشبيه⁽⁷⁶⁾، علاوة على أن الشعر يُعد من المصادر الأساسية المستمدة منها اللغة العربية بعد القرآن، ولذلك فإن تدريس الشعر للطلاب من شأنه أن يغريهم بالمثل العليا وتربية الذوق الأدبي عندهم "فالآراء والمبادئ تنتشر عن طريق الإيحاء أكثر مما تنتشر عن طريق الإقناع لأن الأناس ينفقون عن طريق قلوبهم أكثر مما ينفقون عن طريق رؤوسهم، وإذا أردنا إغراء الطلاب بالمثل العليا فأحسن طريق هي طريق الشعر"⁽⁷⁷⁾.

(75) السكاكيني ، يوميات السكاكيني الكتاب الرابع، ص253.

(76) السكاكيني ، يوميات السكاكيني ، الكتاب الثاني، ص76.

(77) السكاكيني ، يوميات السكاكيني ، الكتاب الرابع، ص 386-387.

موقفه من الامتحانات والواجبات البيتية:

اتخذ السكاكيني موقفاً سلبياً من إجراء الامتحانات في المدارس، لذا فقد ألغى الامتحانات في المدرسة الدستورية التي أنشأها لعدم قناعاته فيها، غير أنه وبحكم عمله مفتشاً على المدارس الحكومية فقد كلف بتصحيح أوراق امتحانات المترك علاوة على امتحانات دار المعلمين وكثيراً ما كان يبدي تدمره من تراكم رزم الامتحانات على مكتبه في البيت حيث يضطر إلى الاعتكاف في بيته طوال شهر تموز حيث تكون فترة تقديم الامتحانات السنوية ففي رسالة بعثها إلى ابنه سري مؤرخة في 10 تموز عام 1934 قال فيها "أخذت اليوم عطلة لبضعة أيام ألزم فيها البيت، وقد أحضرت معي رزماً كبيرة من دفاتر الامتحانات لأنظر فيها وأضع لكل طالب ما يستحق من العلامات، ولا أنتهي من امتحان المترك حتى تجئ نوبة امتحان المعلمين العالي لست أكره شيئاً كما أكره شهر تموز فلا يكاد يطل بطلعته حتى توافينا نكبة الامتحان"⁽⁷⁸⁾.

ويبدي السكاكيني عدم إيمانه وثقته بالامتحان كوسيلة وحيدة أو رئيسية لتقييم الطالب، بل وصل الأمر عنده إلى حد التعبير عن كرهه للامتحانات ويعبر عن ذلك بقوله "لست من أنصار الامتحان وأني أكره أن يدرس أحد لاجتياز الامتحان، فإذا اجتازه حسب أنه نال أقصى ما يتمنى، ولم تعد تنزع به همته إلى متابعة الدرس، وإذا لم يجتزه وقد يخفق في الامتحان المجتهد لأسباب كثيرة أظلمت الدنيا في وجهه وأحس بالضعة، والإحساس بالضعة يقتل الهم"⁽⁷⁹⁾. وبرأيه فإن الامتحان وسيلة غير ناجعة لتقييم الطالب ولا يعد مقياساً صحيحاً ودقيقاً تقاس به معرفة الطالب فهناك الكثير ممن يدخلون الامتحانات لم يكونوا أهلاً لأن يدخلوها، ويرى أن الامتحان من شأنه أن يولد اليأس وضعف النفس والانكسار لدى الطالب فيقول "وكم أتألم حين أرى مما يرتسم على وجوههم من علائم اليأس وانكسار خاطر، وما أقرأ في عيونهم من استجداء عطفي، على حين لا أملك أن أقدم أو أؤخر"⁽⁸⁰⁾. وبالرغم من ذلك فهناك بعض الطلبة يبقون

(78) السكاكيني ، يوميات السكاكيني ، الكتاب الخامس، ص 320.

(79) السكاكيني ، يوميات السكاكيني ، الكتاب الخامس، ص 42.

(80) السكاكيني ، يوميات السكاكيني ، الكتاب الرابع، ص 286.

مصممين على اجتياز الامتحان مهما كانت الظروف ومهما تعددت حالات رسوبهم فيه، دون أن يستسلموا لليأس، ويبيدي السكاكيني إعجابه وتقديره لهذا النوع من الطلاب فيقول في إحدى رسائله إلى ابنه يصف فيها تقديم الطلبة لامتحان المترك في مدينة نابلس فيقول "إن بعض الذين اشتركوا في الامتحان، وبينهم بعض الفتيات، قد تكون هذه المرة الرابعة أو الخامسة التي دخلوا فيها الامتحان، ولم يكن سقوطهم في الامتحان في المرات السابقة إلا ليزيدهم تشبثاً وإصراراً، كأن اليأس لا يعرف إلى نفوسهم سبيلاً، تلك هم عالية أكبرها كل الإكبار وأعجب بها كل الإعجاب ... هناك فتاة دخلت الامتحان للمرة الثالثة هذه السنة ... أليست هذه همة شماء تستحق الإعجاب، أتمنى لها النجاح، ولكن إذا لم تنجح فلست أشك أنها تعاود الكرة للسنة القادمة، إن النفوس التي لا يتطرق إليها اليأس لنفوس عظيمة"⁽⁸¹⁾.

وذكر في إحدى يومياته "ليس شيء أكره إليّ وأثقل عليّ من الامتحان، لا أحب أن أمتحن أحداً، ولا أحب أن يمتحنني أحد، وإذا لم يكن بد من الامتحان فإني أفضل أن يمتحن المرء نفسه"⁽⁸²⁾. وفي رسالة بعث بها إلى ابنه سري يؤكد على عدم الجدوى من الامتحانات مُبدياً انزعاجه واشمئزازه من الاستمرار في تصحيح أوراق الامتحانات حتى وصل الأمر عنده إلى حد أن يطلب من الجهات المسؤولة إعفائه من مهمة التصحيح مهما كان بلغ الأجر على ذلك فيقول " ليس شيء أدل على رجعية المدارس العصرية من الاستمرار على الامتحانات، لو كان السؤال كلمة والجواب كلمة لكان الامتحان شاقاً قد يخطئ الواحد فيه عن غير جهل، وقد يصيب عن غير معرفة، فما قولك والسؤال طويل مبهم، والجواب يستغرق الصفحات الطوال، وما قولك والتعليم عقيم، المعولّ فيه على الذاكرة لا على الفهم"⁽⁸³⁾. ويرى أن التعليم إذا كان صحيحاً فلا يوجد شيئاً أسهل من الامتحان، وترتبط صحة التعليم بتحقيق الغرض منه والمتمثل باكتساب المعرفة وليس اجتياز الامتحان⁽⁸⁴⁾.

(81) السكاكيني ، يوميات السكاكيني ، الكتاب الرابع، ص288.

(82) السكاكيني ، يوميات السكاكيني ، الكتاب الثامن، ص179.

(83) السكاكيني ، يوميات السكاكيني ، الكتاب الرابع، ص288.

(84) المصدر نفسه، ص319.

أما فيما يختص بتكليف التلاميذ في القيام بالواجبات البيتية، فيرى أنها غير صحيحة، لذا فقد ألغاهما أيضاً في مدرسته الدستورية التي لم تكن تجيز للتلاميذ حمل أوراقهم وكتبهم إلى البيت، فلا يتوفر في بيوت أغلبهم طاولات أو زاوية يعتزلون فيها للقراءة، كما أن الأهل قد يتدخلون في مساعدة أبنائهم في الأعمال التي تكلفهم بها المدرسة للقيام فيها "وأكثرهم لا يعرفون كيف يعلمون أولادهم أو يساعدونهم، فربما دفعتهم غيرتهم إلى إرهاق أولادهم وإسهارهم أكثر من اللازم، بل ربما جروا في تعليمهم على طرق لا توافق طرق المدرسة، وقد يعود التلاميذ أن يعتمدوا على والديهم بدلاً من الاعتماد على أنفسهم"، ويرى أيضاً أن البيت ينبغي أن يكون مكاناً للراحة والسرور للتلاميذ، فعند عودتهم من المدرسة يجب أن يرتاحوا لا أن يشتغلوا بواجباتهم المدرسية⁽⁸⁵⁾.

السكاكيني ومنهاج الجديد في القراءة العربية

توجت جهود السكاكيني في المجال التربوي بتأليفه كتاب القراءة بعنوان الجديد ذي الأجزاء الأربعة للصفوف الأربعة الأولى . وارتبطت سلسلة كتاب الجديد في القراءة العربية بأجزائها الأربعة في أذهان الأجيال التي درستها بكلمتي (راس، روس) وهو عنوان الدرس الأول في الجزء الأول من السلسلة للصف الأول الابتدائي، وما زالت تلك الأجيال تردد هاتين الكلمتين اللتين ترسختا في ذاكرتها لأنها كانت أول كلمتين تعلمتها تلك الأجيال وأخذت تردها في البيوت وفي الشوارع فغدت حية في الذاكرة لأجيال كثيرة منذ عشرينات القرن الماضي وحتى منتصف سبعينياته حيث تغيرت المناهج.

حرص السكاكيني في الجزء الأول من السلسلة والذي غدا يعرف لدى الأجيال باسم (راس وروس) أن ينطلق من المحسوس ومن دائرة الطفل ومحيطه من خلال البدء بالكلمة التي تهتم الطفل ويستطيع أن يلمسها

(85) السكاكيني ، يوميات السكاكيني ، الكتاب الثالث، ص44.

بحواسه حين بدأ الدرس الأول بكلمتي(راس، روس)، واتبعتها في الدرس الثاني بكلمتي دار، دور. ويلاحظ أن عدد دروس هذا الجزء كان خمسة وسبعين درساً، وراعى السكاكيني في اثنين وستين درساً منها أي بنسبة %82 أن تكون الكلمات في رأس كل درس مما يعاين أو يصور، بحيث يرى الطالب الصورة فيقرأ الكلمة التي تحتها من تلقاء نفسه، فيكون الانتقال من الشيء إلى الكلمة من شأنه تعويد الطالب من أول مرة أن يقرن بين الكلمة ومعناها⁽⁸⁶⁾. أما الدروس الثلاثة عشر الأخيرة فقد خصصها السكاكيني لتعليم الطالب بعض الحركات والحروف، كالحروف القمرية والشمسية⁽⁸⁷⁾، والألف الممدودة قبل الشدة⁽⁸⁸⁾، والتنوين قبل الوصل⁽⁸⁹⁾، وأحكام الوقف⁽⁹⁰⁾ والترقيم⁽⁹¹⁾.

وتدرج السكاكيني في دروس هذا الجزء من الصورة إلى الكلمة، ومن الصورة إلى الجملة ومن الصورة إلى القصة، وراعى أن تكون الكلمات مألوفة لدى الطالب ، فاهتم أولاً بتعليم الطالب الكلمات المؤلفة من حروف منفصلة⁽⁹²⁾، ثم الانتقال إلى الكلمات المؤلفة من حروف متصلة⁽⁹³⁾ ومن الكلمات ذات المقطع الواحد إلى الكلمات ذات المقطعين فأكثر⁽⁹⁴⁾.

وفي هذا الجزء راعى السكاكيني الاهتمام بتدريس الطالب على الحروف السهلة أولاً ثم الحروف الصعبة دون التسلسل بذلك حسب المعجم، كما راعى تعليم الطالب الحركات الطويلة كالألف والياء والواو ثم الانتقال إلى الحركات القصيرة كالفتحة والضمة والكسرة، فتميز الأولى حسب رأيه أسهل على الطالب من تمييز الثانية⁽⁹⁵⁾.

(86) السكاكيني، الأصول في تعليم اللغة العربية، ص18.
(87) خليل السكاكيني، الجديد في القراءة العربية، الجزء الأول (في الألفاء)، ط34، القدس: مطبعة بيت المقدس، 1947، ص57.
(88) المصدر نفسه، ص56.
(89) المصدر نفسه، ص56.
(90) المصدر نفسه، ص60.
(91) المصدر نفسه، ص93.
(92) مثال ذلك في الدروس الثلاث الأولى (راس، روس) و (دار، دور) و (را، ري). السكاكيني، الجديد، ج1، ص2-6.
(93) وقد بدء ذلك من الدرس الرابع (سور، سوس). المصدر نفسه، ج1، ص6.
(94) مثال ذلك في الدرس الحادي والستون (آلة خياطة)، المصدر نفسه، ج1، ص54. والدرس الرابع والأربعون، (جامع، مغزل). المصدر نفسه، ج1، ص41.
(95) السكاكيني، الأصول في تعليم اللغة العربية، ص13.

وفي الأجزاء الثلاثة الأخرى من الجديد نجد أن السكاكيني حرص على غرس المبادئ والمثل الإنسانية والقيم الأخلاقية التي كان يؤمن بها في عقول الناشئة وأذهانهم ونفوسهم ليتمكن من بناء جيل جديد مكتمل بتلك الفضائل ومؤمناً بها وبالتالي بناء مجتمع إنساني على أساس العدل والمبادئ السامية والفضائل الخلقية الرفيعة لإخراج أجيال قوية في بنائها الأخلاقي. ونراه يحرص على تكرار بعض المبادئ الإنسانية في الأجزاء الثلاثة بصور مختلفة ومتفاوتة.

بدأ الجزء الثاني من كتابه الذي كان مقرراً للصف الثاني الابتدائي بدرس عنوانه **"إلى المدرسة"** مبيناً ماذا يتعلم فيها الطلاب من قراءة وكتابة وحساب وغير ذلك من دروس أخرى، علاوة على اللعب في أوقات الفراغ⁽⁹⁶⁾ ليحبب الطلاب بالمدرسة مبيناً أنها ليست مقتصرة على التعليم فحسب بل للهو واللعب أيضاً.

أما الدرس الثاني فحاول أن يزرع في عقول الطلاب بعض العادات والسلوك اليومي الذي ينبغي إتباعه يومياً، فجاء الدرس بعنوان **"الولد النظيف"** ، مبيناً صفات الولد النظيف هو الذي يغسل جسمه كل يوم ويمشط شعره ويقلم أظافره ويلبس ثياباً نظيفة ويمسح حذاه ويحافظ على نظافة كتبه ودفاتره ومكتبته ومدرسته⁽⁹⁷⁾. وعاد مرة أخرى ليذكر الطلاب بضرورة الاهتمام بالنظافة في الدرس الخامس وعنوانه **"طبيب المدرسة"** حيث فحص أحد الطلبة وبعد الانتهاء من الفحص قال **"هذا الولد نظيف، صحيح الجسم، شجاع"**⁽⁹⁸⁾. وفي درس آخر يحث الطلاب على النظافة والترتيب بشكل غير مباشر فجاء بعنوان **"ضع كل شيء في محله"** بين فيه أنه كان تلميذاً صغيراً حينما يريد الرقود إلى النوم يخلع ثيابه ويعلقها، ثم يضع

(96) خليل السكاكيني، الجديد في القراءة العربية، ج2، ط25، القدس: المطبعة العصرية، 1951، ص2.

(97) السكاكيني، الجديد في القراءة العربية، ج2، ص3-4.

(98) المصدر نفسه، ج2، ص9.

جواربه على الكرسي، والحذاء تحت السرير، ويلبس قميص النوم، وعندما يستيقظ في الصباح كان يخلع قميص النوم ويستحم ثم يلبس ثيابه بسرعة ويتناول فطوره ولا يتأخر عن المدرسة⁽⁹⁹⁾.

وتضمن هذا الجزء عناصر تشويق للمدرسة ونكتاً مضحكة وذلك حتى يضيف على الدرس طابع المرح والسرور في نفوس الطلاب من ذلك درس **"التلميذ الرسام"** عندما طلب المعلم من طالب أن يرسم له سيارة فيها راكبان، فرسم الطالب السيارة ولم يرسم الراكبين، وعندما سأله المعلم عن الراكبين، أجاب الطالب: نزلا⁽¹⁰⁰⁾ وفي درس **"حداد و كلب"** حيث كان لحداد كلب أسود يبقى نائماً ما دام الحداد يعمل، فإذا جلس الحداد ليأكل استيقظ الكلب، فقال الحداد: صوت المطارق لا يسمعه، وأما حس المضغ الخفي فيسمعه ويوقظه⁽¹⁰¹⁾. أما في درس **"الولد والطبل"** فقد طلب ولد من أبيه أن يشتري له طبلًا، فأجابه أبيه: أخاف أن تزعجني، فأجابه الابن: لا تخف يا أبي لا أطبل به إلا وأنت نائم⁽¹⁰²⁾. وفي درس **"الابن الرسام"** حيث طلب أب من ابنه أن يرسم قطاراً مسافراً، فرسم الابن خطين مستقيمين ولم يرسم القطار، ولما سأله أبوه عن القطار أجاب: سافر يا أبي⁽¹⁰³⁾.

وتضمن هذا الجزء قيما ومثلاً إنسانية أخرى الأمانة⁽¹⁰⁴⁾ والصدق⁽¹⁰⁵⁾ وطاعة الوالدين⁽¹⁰⁶⁾ وعدم اليأس⁽¹⁰⁷⁾ وأخذ الحيطة والحذر⁽¹⁰⁸⁾ والقناعة⁽¹⁰⁹⁾.

ويركز السكاكيني في الجزء الثالث على الجوانب الصحية، فقد حملت إحدى الدروس عنوان **"وصايا صحية"**، تضمن عدد من الوصايا من أجل أن يحافظ الإنسان على صحته سواء فيما يتعلق بالأكل

(99) المصدر نفسه، ج2، ص11.

(100) المصدر نفسه، ج2، ص6.

(101) المصدر نفسه، ج2، ص18.

(102) المصدر نفسه، ج2، ص24.

(103) المصدر نفسه، ج2، ص31.

(104) المصدر نفسه، ج2، ص38.

(105) المصدر نفسه، ج2، ص44.

(106) المصدر نفسه، ج2، ص35.

(107) المصدر نفسه، ج2، ص59.

(108) المصدر نفسه، ج2، ص25.

(109) المصدر نفسه، ج2، ص27.

أو النوم⁽¹¹⁰⁾، وخص درس للحفاظ على الأسنان⁽¹¹¹⁾، وآخر للحفاظ على العين ووقايتها⁽¹¹²⁾، ودرس رابع حول طريقة تناول الدواء⁽¹¹³⁾، وآخر لمحاربة الذباب⁽¹¹⁴⁾. وهناك درسان آخران حول الطريقة الصحيحة لتناول الأكل⁽¹¹⁵⁾. كما اشتمل هذا الجزء على الاهتمام بالعمل والنشاط والاعتماد على النفس، كما يظهر ذلك في درس بعنوان "ماذا نتعلم من الحيوانات"، فمن النملة العمل المستمر ومن النحل العمل والنظام ومن الديك الإيثار واليقظة⁽¹¹⁶⁾.

كما تضمن هذا الجزء قيم ومثل إنسانية متعددة منها السعي والجد في طلب الرزق والتعاون المشترك للتغلب على الصعوبات كما يظهر في درس "النملة" حيث لم تتمكن نملة من نقل حبة القمح إلى بيتها فساعدتها نملتان أخريان⁽¹¹⁷⁾، ومساعدة الآخرين خاصة كبار السن⁽¹¹⁸⁾، والكرم⁽¹¹⁹⁾ وطاعة الوالدين⁽¹²⁰⁾، واللين في معاملة الحيوانات⁽¹²¹⁾، والصبر⁽¹²²⁾ والصدق⁽¹²³⁾ والتواضع، وعدم الإسراف والتبذير⁽¹²⁴⁾.

أما الجزء الرابع والأخير من هذه السلسلة عاد السكاكيني ليؤكد على عدد من المثل والقيم الإنسانية من ذلك الشجاعة والتضحية⁽¹²⁵⁾ والعفو عند المقدرة⁽¹²⁶⁾ والسعي في طلب الرزق⁽¹²⁷⁾ والتسامح⁽¹²⁸⁾.

(110) السكاكيني، الجديد في القراءة، ج 3، ص 35.

(111) المصدر نفسه، ج 3، ص 43.

(112) المصدر نفسه، ج 3، ص 51.

(113) المصدر نفسه، ج 3، ص 65.

(114) المصدر نفسه، ج 3، ص 36.

(115) المصدر نفسه، ج 3، ص 25.

(116) المصدر نفسه، ج 3، ص 42-43.

(117) المصدر نفسه، ج 3، ص 11.

(118) المصدر نفسه، ج 3، ص 18.

(119) المصدر نفسه، ج 3، ص 26.

(120) المصدر نفسه، ج 3، ص 27.

(121) المصدر نفسه، ج 3، ص 27.

(122) المصدر نفسه، ج 3، ص 26.

(123) المصدر نفسه، ج 3، ص 26.

(124) المصدر نفسه، ج 3، ص 55.

(125) السكاكيني، الجديد في القراءة، ج 4، ص 89.

(126) المصدر نفسه، ج 4، ص 109.

(127) المصدر نفسه، ج 4، ص 58.

(128) المصدر نفسه، ج 4، ص 27.

وحتى يضمن السكاكيني غرس الكثير من المبادئ الإنسانية التي تناولها في دروسه وبخاصة في الجزأين الثالث والرابع كان يضع ملاحظات في نهاية تلك الدروس يطلب فيها من المعلمين التركيز على تمثيل بعض الروايات والقصص ويطلب منهم أيضاً أن يعرفوا الطلاب ببعض الشخصيات الواردة في النصوص كما في حال درس صلاح الدين الأيوبي والحمامي حيث ركز على المعلم أن يقص على التلاميذ خلاصة أعمال صلاح الدين ويدعو التلاميذ الوقوف احتراماً له⁽¹²⁹⁾. ولا بد من الإشارة هنا إلى سمو فكر السكاكيني في هذا الأمر وترفعه عن النزعة الطائفية فلم يخطر في باله على الإطلاق وهو مسيحي أرثوذكسي أن اسم صلاح الدين الأيوبي ارتبط كقائد مسلم بالحروب الصليبية وهو الذي خاض مع الصليبيين معركة حطين عام 1187م وحرر القدس من الاحتلال الصليبي.

هكذا كان السكاكيني في هذه السلسلة يطمح لبناء مجتمع إنساني يتحلى بالفضائل الخلقية الرفيعة، ويعزز عند أفراد النبل وسمو الأخلاق والمثل الوطنية والقومية فكان بذلك "مدرسة أخلاقية قومية إنسانية متكاملة"⁽¹³⁰⁾.

الخاتمة

يبدو واضحاً من خلال ما سبق الدور الريادي الذي لعبه السكاكيني في مجال التربية والتعليم والحفاظ على اللغة العربية مركزاً عليها لما لها من دور مهم ورئيس في تشكيل الهوية الثقافية القومية والوطنية، من خلال التركيز على ضرورة تأصيلها في نفوس الناشئة.

(129) المصدر نفسه ، ج4، ص50.

(130) حداد، خليل السكاكيني، ص294.

لقد حملت آراؤه الكثير من المفردات والدلالات التربوية التي تعكس ثقافته ما كان لها الأثر الأكبر في تنمية المعرفة لدى الأجيال الفلسطينية في الوقت الذي كانت فيه القضية الفلسطينية تتعرض لأكبر بل لأشرس هجمة من قبل الحركة الصهيونية بدعم مطلق من قبل سلطات الانتداب البريطاني. فقد أبدى حرصاً شديداً على خلق جيل وطني غيور على وطنه ولغته العربية.

ونراه قد ركز على تفعيل دور التلاميذ في العملية التربوية من خلال النقاش والمشاركة والتحليل والتفكير مقرباً ذلك بدور المعلم الذي ينبغي أن يكون فاعلاً في العملية التربوية وفق التوجهات التربوية الحديثة من خلال النقاش ودراسة الحالة وحل المشكلات وطرح الأسئلة على التلاميذ ، داعياً المعلم الابتعاد عن الدور التقليدي كناقل للمعلومة إلى دور المشارك للتلميذ في عملية التعلم ، لذا نراه قد ثار على أساليب التعليم الجامدة محاولاً بناء انسان جديد مكتمل الفضائل التي كان يؤمن بها السكاكيني ليوجه النشئ الجديد نحو القيم والمثل التي تمس العلاقات الإنسانية في كافة صورها ، والترفع عن الصغائر والذاتية لتعزيز القومية في نفوس التلاميذ من خلال المدرسة عبر التركيز على مثل العرب وقيمهم ودورهم الحضاري ليخلق بذلك جيلاً جديداً متميزاً . ولذلك نستطيع القول أنه كان للسكاكيني ولعلمه المتواصل الأثر المهم في تبديل الكثير من المفاهيم والآراء والأساليب إلى حد كبير ربما لم يجاره سواه من الذين عملوا في حقله.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- ابراهيم عبد العزيز الدعيلج - التربية، القاهرة: دار القاهرة، 2007.
- 2- جلال يحيى وجاد طه، العرب في التاريخ الحديث، د.م، دار الكتب الجامعية، 1974 .
- 3- جهاد أحمد صالح، الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين : خليل السكاكيني رائد التجديد في الحياة الأدبية في فلسطين ، رام الله ، منشورات الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين ، 2010 .
- 4- خليل السكاكيني، الأصول في تعليم اللغة العربية، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1952.
- خليل السكاكيني، الجديد في القراءة العربية، أربعة أجزاء ، القدس: مطبعة بيت المقدس والمطبعة 5 . 1945-1950العصرية ،
- 6- خليل السكاكيني ، يوميات خليل السكاكيني: أخبار الانتداب وأسئلة الهوية 1919-1922، الكتاب الثالث ، تحرير أكرم مسلم، رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، 2004 .
- 7- خليل السكاكيني، يوميات السكاكيني: الخروج من القطمون 1942-1952، الكتاب الثامن ، تحرير أكرم مسلم، رام الله: مؤسسة الدراسات المقدسية ومركز خليل السكاكيني الثقافي ، 2010 .

- 8- خليل السكاكيني، يوميات خليل السكاكيني: رسائل خليل السكاكيني إلى ولده سري في أمريكا -1933
1934، الكتاب الخامس ، تحرير أكرم مسلم، رام الله، مؤسسة الدراسات المقدسية ومركز خليل
السكاكيني الثقافي، 2006.
- 9- خليل السكاكيني يوميات خليل السكاكيني، رسائل خليل إلى سري في أمريكا 1931-1932، الكتاب
الرابع ، تحرير أكرم مسلم، رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية،
2005.
- 10- خليل السكاكيني، يوميات السكاكيني: رسائل خليل السكاكيني إلى سري في أمريكا 1935 – 1937،
الكتاب السادس ، تحرير أكرم مسلم، رام الله: وزارة الثقافة الفلسطينية، 2006.
- 11- خليل السكاكيني، يوميات خليل السكاكيني: سلطنة 1941-1939، الكتاب السابع ، تحرير أكرم
مسلم، رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، 2009 .
- 12- خليل السكاكيني، يوميات السكاكيني: النهضة الأرثوذكسية – الحرب العظمى – النفي إلى دمشق
1914-1918، الكتاب الثاني ، تحرير أكرم مسلم، رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة
الدراسات المقدسية، 2004.
- 13- خليل السكاكيني ، يوميات خليل السكاكيني: نيويورك – سلطنة – القدس 1912-1907، الكتاب
الأول ، تحرير أكرم مسلم، رام الله: دين، 2003.
- ، مجلة 1908، 1907- سليم تماري، السكاكيني في نيويورك: الفترة التكوينية في حياة أديب مقدسي 14
2003، خريف 56الدراسات الفلسطينية، العدد
- 15- سليم تماري، القدس 1948: المدينة المهجرة، مجلة الدراسات الفلسطينية ، المجلد 10 ، العدد 38 ،
ربيع 1999 .
- 16- سليم تماري، مقهى الصعاليك وإمارة البطالة المقدسية، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 57،
2004.
- 17- عبد الحميد ياسين وآخرون (محرر)، ذكرى السكاكيني، عمان، 1957.
- 1985- عيسى الناعوري، خليل السكاكيني أديباً ومربياً، عمان: منشورات دار الكرمل، 18
- 1990- قسطندي شوملي، الاتجاهات الأدبية النقدية في فلسطين، القدس: دار العودة للدراسات والنشر، 19
- 2006- مصطفى زيادة وآخرون، الفكر التربوي: مدارسه واتجاهات تطوره، مكتبة الرشد، 20
- 21- واصف جوهرية، القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية 1917-1904، تحرير وتقديم سليم تماري
وعصام نصار، القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية، 2003 .
- 22- يوسف أيوب حداد، خليل السكاكيني: حياته – مواقفه – وآثاره، الناصرة، 1985.